الفصل السادس

السلفيون والعلمانيون والنهضة العربية

الفصل الثامن
السلفيون والعلمانيون والنهضة العربية

النزعة الهيرودية ، ونزعة نسَّاك إسرائيل

يقول الأستاذ العقاد " يقول المؤرخ توينبي : حال المسلمين حيال النهضة الغربية فيقول : " إن المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين : إحداهما يسميها النزعة الهيرودية ، وينسبها إلى هيرود ملك اليهود الذي قابل حضارة الرومان بمشابهة الرومان في السكن ، والملبس ، والمعيشة .

والأخرى نزعة الغلاة وينسبها إلى نسَّاك إسرائيل الذين كانوا يصرون على القديم وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات .

ولو أراد الأستاذ " توينبي " أن يتوسع في الأمثلة لعمم القول على الطبيعة الإنسانية في مواجهة كل حديث ، ومقابلة كل تغيير .

ونحن في العصر الحاضر نعرف الرخصة والهوادة ، كما نعرف الشدة والصرامة ، ونواجه الحضارة الأوربية بالنزعتين معا أو نتوسط بينهما ، تارة مع المحافظة ، وتارة مع التجديد ، ومن لم يتوسط منا تشبث بالمحافظة حتى الجمود أو اندفع مع التجديد حتى أصبح كالمنبت عن الطريق ، وأحسب هذه النزعات جميعا كانت على اختلافها الذي نشهده اليوم في تاريخ كل دعوة ومواجهة كل تغيير " (١)

(١) عباس محمود العقاد " الإسلام والحضارة الإنسانية " ص ١٥٧ نهضة مصر .

ورغم مرور نحو نصف قرن على كلام توينبي والعقاد إلا أن المسلمين ما زالوا تتنازعهم نزعتان : النزعة الهيرودية ، ونزعة نسَّاك إسرائيل . أو بمعنى آخر تتنازع المسلمين نزعتان : نزعة العلمانية التغريبية ، ونزعة السلفية الاسترجاعية .

إما السلفيون (١) فيقفون بالعلم الديني عند أقوال بعض علماء السلف يكررونها دون فهم لمنهجهم الفكري ، والعملي وفي ذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية في "من أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم بل هذا الطبيب الجاهل وهذا المفتي الجاهل أضر ما على أديان الناس وأبدانهم " (٢)

أما مفهوم العلوم الحديثة والتقنيات المتقدمة عند السلفيين فهي من بدع الكفرة الفجرة ، ولا بأس من الاستفادة بالمخترعات النافعة أما الانشغال بهذه العلوم فإن لم يكن حراما فعلى الأقل خلاف الأولى ، والأولى عكوف المسلمين – كل المسلمين – على حفظ المتون والشرح ، والاكتفاء ببيع المصاحف والسُوُك (جمع سواك) وكتب التراث على أبواب المساجد لكسب الرزق . مما أوقع الناس في الحرج مع أن رفع الحرج عن الناس من مقاصد الشريعة الغراء .

أما الدنيا عندهم فلا وزن لها ولا قيمة وطلابها عبيد لها ، والسعي فيها انشغال بها ، ولم يفهموا آيات القرآن التي تكلمت عن الدنيا والأحاديث الشريفة إلا على أنها

(١) نحن نتحدث في هذا الفصل عن السلفية في مصر قبل ثورة ٢٥ يناير قبل أن يخرج السلفيون إلى الحياة السياسية ويراجعوا كثيراً من أفكارهم الرجعية ويتقاربوا مع المفهوم الوسطي للإسلام مفهوم الأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء .

(2) " إعلام الموقعين " لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٧٨

تبغضهم في الدنيا بحلالها وحرامها ، و تأمرهم بطرحها بالكلية والتفرغ للعبادة ولا يكون العمل إلا لكسب لقمة العيش فقط وليس العمل الذي يجعل الدنيا في قبضة المسلمين ليس بقوة السلاح فقط إنما بقوة العلم أيضا .

ولم يفهم السلفيون أنه عندما لا نزرع ما نأكل ولا نصنع ما نلبس ، ولا ننتج ما نحتاج إليه ونتسول كل ذلك من الكفرة الفجرة فإننا نكون قد أسأنا فهم الدين و الدنيا جميعا .

ولم يفهم هؤلاء المتنطعون أننا لو اكتفينا بالدعاء على أعدائنا دون أن نشفع الدعاء بالعمل نكون قد رضينا من الغَنِيمَةِ بالإيَاب حتى الإياب السالم لن يمكننا أعداؤنا منه ، وهم غير ملومين لأن من يجعل ظهره مطية فلا يلومن من يركبه ، وأن من ظلم نفسه فلا ينتظرن من عدوه إنصافا .

وهذا الفهم الضيق للدين والعلم والدنيا يلزم المتنطعون أنفسهم به كما يلزمون الناس جميعا به ، بل ويحضونهم عليه ، ولما كان المدعو قصارى جهده أن يبلغ درجة الداعي فإن المدعوين من فئات المجتمع المختلفة قصارى جهدهم أن يكونوا هذا الواعظ النصي الحرفي .

أما العلمانيون التغريبيون فعلى النقيض من السلفيين فإذا كان السلفيون يرمون الدنيا والعقل وراء ظهورهم فإن العلمانيين من الماركسيين والوجوديين والماديين .. يرمون الدين وراء ظهورهم ، وإذا كان السلفيون يقدسون بعض كتب السالفين فإن المثقفين العلمانيين يقدسون كتب دارون ، ونيتشة ، وماركس ، وساتر، وفرويد ...

والخلاصة إن كان السلفيون يممون وجوههم قِبَل القديم ويعتبرون أن كل فهم جديد للدين بدعة ضالة وأن الوقوف عند حدود ما أبدعه السالفين نجاة ؛ وأن السابق لم يترك للاحق شيئا .

فإن العلمانيين التغريبيين يممون وجوههم قِبَل الغرب ويعتبرون كل فهم قديم للدين تخلف ورجعية وأنه لا إيمان إلا بما يقوله العلم – المادي – والحكمة تقضي – في نظرهم – بأن نأخذ من الغرب فلسفته وفنونه وآدابه كما نأخذ علمه ومخترعاته أن نأخذ أفكار دارون ، ونيتشة ، وماركس ، سارتر ، وفرويد ...كما نأخذ علوم جاليليو ونيوتن وأيشتين ومندل ...

وإذا كانت حجة السلفيين أن المسلمين ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه في أزهى عصورهم إلا بفضل تمسكهم بالدين ، واعتقادهم أن التمسك بأقوال وآراء بعض السلف سيحقق لهم ما تحقق لأسلافهم من ظهور على سائر الأمم . فإن العلمانيين يقولون إن أوربا ما تقدمت إلا بعدما طرحت الدين وراء ظهرها وأخذت في أسباب العلم المادي .

والحق أن كلا الفريقين مصيب ومخطئ ، فنعم تقدم المسلمون عندما تمسكوا بالإسلام لكن فهمهم للإسلام يختلف عن فهم الوعاظ النصيين الحرفيين له .

فقد فهموا الإسلام على أنه نظام شامل دين ودنيا ، مأثور ومعقول ، إيمان وعمل لا كما يفهمه السلفيون على أنه نقل لا عقل فيه ومأثور لا فقه فيه وثبات لا تطور فيه !!

كما أن أوربا ما تقدمت إلا بعدما طرحت الدين وراء ظهرها وأخذت في أسباب العلم المادي وهذا حق ، ولكن الحق أيضا أن الدين الذي طرحته أوربا والذي كان عائقا للتقدم العلمي والذي حكم رجال دينه على جاليليو بالهرطقة والكفر ليس هو دين الإسلام الذي يجعل العلم – بمفهومه الشامل – فريضة وأنه لا تعارض بين الفهم الصحيح للدين والحقائق العلمية .

مسكين شبابنا – بل مساكين مسلمو العرب – إذ يخير بين أن يكون سلفياً لا عقل له أو علمانيا لا دين له ، أو ماجناً لا حياء له !! .(1)

كما قال الشاعر :

اثنانِ أهلُ الأرضِ : ذو عقلٍ بلا * دينٍ و آخرُ دينٌ لا عقلَ له

رأي السلفية اللا أصولية في الاستراتيجية الصهيونية

إن كثيراً من الكتاب المسلمين يريد أن يفهمنا أن الصراع بين الغرب والشرق صراع عقائدي ، فالغرب كاره للإسلام ومعاد للمسلمين وبسبب تعصبهم للصليب حاربوا المسلمين وهزموهم ، ولكي نهزمهم لابد أن نتمسك بديننا فنهزمهم .

وهذه نظرة غير علمية ، فالحقيقة أن المنطق العلماني الذي يؤمن به الغرب يقول: إن من يملك القوة يفرض قانونه ويحاول أن يستفيد من تفوقه العلمي والعسكري في تحقيق أهدافه ومن أهداف أي دولة قوية أن تبسط نفوذها على سائر الأمم غير مفرقة بين دين ودين فالمهم أن تنتعش اقتصادياً وتستولي على خيرات غيرها .

وإخواننا السلفيون يسطحّون القضية بتحويل الصراع على المصلحة صراعاً دينياً، ويجعلون الحل هو أن نتمسك بالكتاب والسنة وفق فهم الخاص .

إن أكثر البلاد تخلفاً هي ممن تصرح أنها تطبق الشريعة الإسلامية وتسير على نهج الكتاب والسنة فهل يريدوننا أن نكون أمثالهم !

الحقيقة أننا نظلم الكتاب والسنة بفهمنا المتخلف المجتزئ لهما .

إن القرآن الكريمة كتاب الله المعجز والسنة المطهرة هما الحل نعم لكن ليس كما يفهمه إخواننا السلفيون .

---

(1) لمزيد من التفصيل الرجوع إلى كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللاأصولية " للمؤلف . مكتبة مدبولي .

ليس التمسك بالكتاب والسنة معناه تمسك بلبس الجلباب والجلوس على الأرض والشرب قاعداً والأكل بالأيدي – دون ملاعق أوشوك – والعكوف على دراسة المتون والشروح والحواشي ...

يقول المتنبي :

أَغايَةُ الدينِ أَن تُحفوا شَوارِبَكُم يا أُمَّةً ضَحِكَت مِن جَهلِها الأُمَمُ

إن التمسك بالكتاب والسنة معناه إيمان حقيقي يملأ القلب ويطهره من النفاق والرياء وحب السمعة والغش والإهمال ... وكلها أمراض لا يسلم منها من يتكلم عن وجوب التمسك بالكتاب والسنة – إلا من رحم ربي – التمسك بالكتاب والسنة معناه تفوق علمي وتقني وأخذ في أسباب التقدم والتحضر ...

وهذا المفهوم للدين هو ما صنع حضارة الإسلام في أزهى عصوره كما بينا

إن عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كان عصر إيمان يملأ القلب وتزكية للنفس وجهاد لنشر الدين الحق ، وبيان هدي الإسلام وشرعه ، ومع الفتح العربي اختلط المسلمون بالأمم الأخرى التي كانت أكثر رقيّاً وتحضراً – ماديّاً – منهم ولم يكن عندهم عقد نفسية كالتي عند بعض إخواننا الذين يعتبرون أن كل ما عند غير المسلمين كفر وشر وإن كان علماً : كالكيمياء والفيزياء ...أو تكنولوجيا : كالكمبيوتر والأقمار الصناعية ...، والعجيب أنهم يستخدمون هذه المخترعات ويلعنون مخترعها الكافر الفاجر !

ويتصيدون كلمة هنا أو عبارة هناك فيها إساءة للإسلام أو للمسلمين لكي يثبتوا أن الغرب الرجيم كاره لكل المسلمين راغب في إبادتهم جميعاً مع أن كل كتبهم ولا أقول معظمها بل كلها لا تخلوا من سب وشتم وتكفير الغرب كل الغرب دون تفرقة

فَلِمَ سمحتم لأنفسكم بسب غيركم وحرَّمتم عليه سبكم ؟!

ويزعمون أن الغرب إنما يغزوهم بدوافع دينية صليبية ، ولو كان هؤلاء المتنطعون يملكون نصف ما عند الغرب من قوة لأبادوا كل الغرب ولاستولوا على كل أراضيهم وهدموا كل كنائسهم ومعابدهم وسبوا نساءهم !

إن كتب بعض إخواننا السلفيين تشن حروباً ضروساً – بالكلام – على الغرب والأمريكان وتصفهم بأبشع الصفات ويظن أنه بذلك يكون قد انتصر عليهم أو ليثبت لله تعالى – حاشا لله تعالى – أن الغرب هم الكفرة الفجرة لكي ينزل الله تعالى عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، وينجي المسلمين !

إخواننا الأعزاء ليست الحرب حرب كلام وإلا لكان لنا النصر من دون العالمين لأن أكثرنا لا يملك من العمل والسعي غيره ولولا البترول الذي اكتشفه الغرب لهم لعاشوا كالأنعام السائمة .

نعم الكلام صدمة لكثيرين لكنها الحقيقة المرة نقولها بغرض أن نفيق من رقدتنا نتقي الله في أنفسنا وديننا وأوطاننا التي ضيعناها بشعارات ليس من ورائها عمل حقيقي .

إن بعض إخواننا من الكتاب السلفيين يجعل من بعض المتطرفين فكرياً والمتخلفين علمياً أبطالاً يجب التأسي بسيرتهم ، ويجعل من المفكرين المسلمين عملاء للغرب !

أرأيتم مأساة أكبر من هذا ؟!

لم يعد عند كثير من كتابنا القدرة الآن على التفرقة بين من يريد أن يبني ويطور، وبين من يريد أن يخرب ويهدم !!

ونخدع أنفسنا عندما نقول أن الأفغان العزَّل عندما تمسكوا بالدين انتصروا على الاتحاد السوفيتي ثاني أكبر قوة في العالم ، وننسى الدور الأمريكي العربي في ذلك،

ونخدع أنفسنا عندما توهمنا أنه بدون سلاح متقدم سننتصر على عدونا وننسى أن معظم ما نستخدمه في حياتنا من إنتاج أعدائنا حتى السلاح الذي نريد أن نحاربه به !! ليس معنى هذا أن السلاح وحده كافيا لحسم معركة لا بالطبع فوحدة الهدف ،والتضحية والفداء لهم قيمة عظيمة في المعارك ، لكنهما ليسا كافيين وحدهما في هذا الزمان بل يجب أن يصاحبهما تقدم علمي وتكنولوجي كبيرين فبهما استطاع الغرب أن يحتل بلادنا ، وبافتقارنا إليهما وقعنا فريسة سهلة في حباله .

لكن بعض الكتاب مُصرٌّ على أن الغرب الرجيم والصليبيين : قدماء ومحدثين هم السبب فيما صرنا إليه لقد دمروا حضارتنا واغتالوا ثقافتنا ، والحقيقة أن الحضارة لا تقتل بل تنتحر ، والضعيف هو من يلقي اللوم على عدوه .

نعم هناك من يتربص بنا الدوائر ولكن ألم يكن لأجدادنا العظماء أعداء ؟ ألم يكن هناك مشركون في مكة ويهود ومنافقون في المدينة ، وفرس وروم خارجها ؟ ألم يكن يكيدون لهم ليل نهار فلم تقدموا وتخلف غيرهم ؟ ولم رُدَّ الكيد إلى نحر أعدائهم ؟

لأنهم كانوا أقوى وأعلم وأتقى من كل كيد ومكر ، ولما ضعفنا {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا }(مريم : ٥٩)

يا سادتي كفانا لعنا لأعدائنا إن التغني بأمجاد الماضي لن يعيده ولعن الأعداء لن يقهرهم إن الذي يعيد مجدنا ويدحر أعداءنا هو أن نتخلص من عيوبنا التي ورثناها من فترات الضعف والتخلف وأن نحيي سمات حضارتنا الإسلامية الزاهرة ، وأن نأخذ في أسباب التقدم والرقي .

موقف العلمانيين العرب من الاستراتيجية الصهيونية

أما العلمانيون فيرون أن السبيل للخروج من أزمتنا الراهنة أن نحذوا حذو الغرب حذو النعل بالنعل .

كما قال سيد المرسلين " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك "
(راوه الترمذي)

والعلمانيون العرب ممن غَشَّى بصرهم ما حققه الغرب من تقدم مادي ، أو ممن درسوا في جامعاته ، وتشربوا أفكاره ومعتقداته . فيريدون منا أن ندين بالعلمانية التي اعتنقتها ، ونطرح الدين سبب تخلفنا – في زعمهم – ، ونطبق النظم العلمانية جميعها في حياتنا على كافة المستويات : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وحتى الأخلاقية .

فإننا إن فعلنا ذلك نكون كأوروبا إبان نهضتها الذين نحُّوا الدين جانباً فتقدموا ونسوا – أو تناسوا – إن الإسلام دين العلم والرقي والتحضر ، الإسلام الذي نصَّ في نحو ألف آية من كتابه الله العزيز على العلم والتفكير ، وجعل العلماء المؤمنين – في مختلف ميادين العلم – ورثة الأنبياء ، إن دين الإسلام غير دين الكنيسة في العصور الوسطى في أوربا التي حرقت كتب العلوم ، وحاربت العلماء وتعقبتهم . الذين كان شعارها كلما ازداد الإنسان جهلهاً كلما ازداد تقوى .

" لقد كان طبيعيا في هذا النهج الوسطي أن ترفض " العلمانية " وأن يرفض نقيضها الحكم الإلهي ، ووحدة السلطتين الدينية والزمنية لأن كليهما قد قام في مناخ فكري وعملي كان الاعتقاد بالكهنة والكهنوت والسلطة الدينية فيه من المسلمات " (1)

ونسي هؤلاء العلمانيين – أو تناسوا – ما آلت إليه النهضة الغربية العلمانية من دمار شامل للكون والكائنات مما يهدد بفناء العالم (2)

(1) د. محمد عمارة " نهضتنا بين العلمانية والإسلام " ص ٦٠ دار الرشاد .
(2) راجع فصل النهضة الأوربية في هذا الكتاب .

ونسوا – أو تناسوا – أن كثيراً من الدول العربية قد أخذت بالعلمانية الغربية وخاصة النظام الشمولي الذي استهوى حكامها ، وكانت النتيجة ضياع القدس وسيناء والضفة الغربية وغزة والجولان ، والعراق ، والكرامة العربية ، والوحدة العربية ، واحتلت أراضينا ، وانحطت قوانا ، وأخلاقنا .

وكبتت الحريات وامتلأت السجون والمعتقلات ، ولقد شهدت العالم العربي على أيدي دعاة الشيوعية أو الاسم البديل لها الذي أشاعوه بين الناس الاشتراكية العربية أياما سوداً كقطع الليل المظلم مما لم يعد خافياً على كل مثقف .

وانتشرت المذاهب الهدامة كعبدة الشيطان ، والوجودية ، والماركسية .. كبديل للدين الذي حاربوه وحاربوه أهله .

وإليك طائفة من أقوال بعض المفكرين والغيورين على مستقبل هذه الأمة في العلمانية والتغريب (1)

يقول الدكتور عثمان سرور : " إننا نجّرب الغرب منذ ما يقرب من قرنين ما هي النتيجة ؟ هل نحن راضون عن أحوالنا ؟

إن الأغنياء والفقراء معاً يتوحدون في نشيد واحد من الشكوى وعدم الرضا ودول العالم الثالث التي استقلت منذ سنوات قد أصبحت اليوم أشد تبعية للغرب مما كانت عليه يوم استقلالها " (2)

باسم هذه العلمانية الشمطاء ودون أن تكشف عن وجهها القبيح يتم استبعاد الدين من موقعه الصحيح في وسائل توجيه المجتمع وبنائه على الأسس الإسلامية .

يقول الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق :

---

(1) نقلا عن كتاب " حقيقة العلمانية " د. يحيى هاشم حسن فرغل .
(2) الأهرام ٢٩ / ٤ / ١٩٨٦ .

" إن الصحافة على اختلاف مستوياتها ونوعياتها واتجاهاتها قد أغفلت إنها أداة تثقيف وتعليم وأن من واجبها أن تفسح حيزاً يومياً يقرؤه الصغار والكبار يتناول فيه العلماء والكتاب قضايا الساعة الحادة والجادة ويرشدون فيها الضال ويهدون الحائر دون توغل في مسالك التيه الذي تمتلئ به الصحف من تشكيك في العقيدة وتعرض للإسلام بأقبح الفكر وأشده فساداً وضلالاً وإضلالاً ." (١)

ويقول الأستاذ بركات عبد العزيز محمد :

" إن هناك خطراً خارجياً يتهدد الثقافة الإسلامية العربية ويتخذ التليفزيون وسيلة بكل أسف أنه تلك المجموعات الضخمة من الأفلام والمسلسلات التليفزيونية والروايات البوليسية التي تقوم على العنف واستمرار القتل والإشادة بالتميز العنصري وعبادة الملذات الجنسية التي تضج بعرضها التليفزيونات العربية "

ويقول د. إدريس الكتاني أستاذ العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس : " إن الباحث الاجتماعي المسلم يقف مندهشاً من سلوك المسئولين عن الإعلام في الدول العربية الإسلامية ذات القيم والمبادئ الحضارة التي تختلف اختلافاً كلياً عن حضارة الغرب في ميدان العقيدة والشريعة والقيم الإنسانية والأخلاق ومع ذلك فهي تفتح الأبواب على مصراعيها تجاه غزوها بأفلام العنف والإجرام والجنس سوءاً في القاعات السينمائية وفي شاشات التلفزيون وهي تعلم أن هذه الأفلام تخضع لتخطيط وتوجيه الصهيونية العالمية وحلفائها من الملاحدة والإباحيين والرأسماليين الذين لا يهمهم تدمير أخلاق الشعوب بقدر ما يهمهم ابتزاز أموالهم . "

أساليب الترويج للعلمانية

إن سماسرة العلمانية يروجون لها في البلاد العربية الإسلامية بمجموعة من الخرافات منها :

(١) الأهرام ١٤ / ٧ / ١٩٨٥ .

١- أنها سر التقدم في أوربا .

٢- أنها الأسلوب الوحيد لتحرير " العلم " من " الدين " .

٣- أن الإسلام أثبت فشله عند التطبيق .

٤- أن العلمانية لا تتعارض مع الإسلام .

ثم بعد ذلك يضربون ستاراً من الظلام على " الفشل " الحتمي ، والخراب الذي تجره هذه العلمانية على الشعوب الإسلامية التي ترفضها . (١)

ولقد ذكرنا في الفصل السابق جانباً مما جرَّته العلمانية على العالم من خراب ودمار .

وهؤلاء العلمانيون وإن كان لهم حظ من علوم الدنيا ومن التقدم المادي فإنهم لا حظَّ لهم في الآخرة فلقد انتفعوا بالنعم وكفروا بالمنِعم ، تفكروا فالكون واستفادوا من سننه ولم يتفكروا في خالقهم ولم يستفيدوا من رسالاته السماوية ، أخذوا عطاء الربوبية ، ولم يأخذوا عطاء الألوهية فخسروا الدنيا والآخرة وفيهم .

يقول الله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية : ٢٣)

هؤلاء هم العلمانيون والملاحدة الذين وصولوا إلى درجات عالية في العلوم المادية لكنهم جحدوا آيات الله وسخروا منها ورموا المؤمنين بالتخلف والإرهاب .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون ﴾ (الأحقاف : ٢٦) .

---

(١) د. يحيى هاشم حسن فرغل " حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب " ص ٨

إن هؤلاء العلمانيين عقلاء يستخدمون عقولهم في تحقيق مصالحهم الدنيوية لكن قلوبهم مغلقة دون سماع كلام الله عليها أقفال من الكفر والفسوق والعصيان لا تسمح لكلمة التوحيد أن تنفذ إليها .

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ (محمد : ٢٥) .

هؤلاء العلمانيون الذين عرفوا الحق فحاربوه ، وعرفوا الباطل فاتبعوه ، فختم الله على قلوبهم فلا تسمع كلام الله ولا ترى آياته .

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد : ٢٤).

ولو شاء الله تعالى أن يعذب هؤلاء العلمانيين المتجبرين في الدنيا ما أعجزوه لكنه سبحانه أجل لهم العذاب .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴾ (الأعراف : ١٠٠) .

إن هؤلاء العلمانيين منهزمون نفسياً أمام الغرب مما سهل عليه مهمة استغلالهم لتحقيق أهدافه ولترويج أفكاره .

" إن القضية عندنا منوطة أولاً بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر. وما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا، وتبديدها وتشتيتها على أيدينا، فلا رجاء في استقلال، ولا أمل في حرية، مهما كانت الأوضاع السياسية، وقد قال أحد المصلحين «اخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم " .

إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة، يصيب بها من يشاء. فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبواقاً يتحدث فيها، وأقلاماً يكتب بها، أنه يسخرنا وأقلامنا لأغراضه، يسخرنا له، بعلمه، وجهلنا.

والحق أننا لم ندرس بعد الاستعمار دراسة علمية، كما درَسنا هو، حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية، وحتى الدينية، من حيث نشعر أولا نشعر ..

إن علماء النفس العلمانيين عندنا بدلا من دراسة نفسية الغرب دراسة حقيقية والإفادة منها في حربهم " ينقلون عن الغرب أبحاثهم التي تدعم قوتهم وتفرض سيطرتهم وتمكن لهم ، ويتقلون عن الغرب ما يضعف همتنا وينشر فيها أمراضهم – التي لم تكن فينا – مثل الكبت ، والإباحية والشذوذ ...." (١)

وهكذا بدلاً من البحث في أصول حضارتنا المصرية القديمة ، والإسلامية الوسيطة ومحاولة الاستفادة منها ، فإن العلمانيين العرب يريدون إن يجرونا بسلاسل خلف الغرب .

ونحن لسنا ضد كل ما يصنعه الغرب – كما هو منطق السلفيين – كما أننا لسنا عباداً في محرابه كالعلمانيين .

إنما نحاول أن نستفيد من كل المنجزات العلمية ، والتكنولوجية المتقدمة شرقية كانت أو غربية ، كما نحاول أن نستفيد من منجزات حضارتنا القديمة .

مثال مشرف للعالم المسلم المعاصر

ونضرب على ذلك مثالاً عملياً قام به عالم مصري هو د. إبراهيم كريم مكتشف ومؤسس علم البايوجيومتري .

---

(١) مالك بن نبي " الاستعمار والشعوب المستعمرة " مرجع سابق .

ففي آخر الأبحاث العلمية التي قام بها استطاع باستخدام أجهزة رقمية ذات حساسية عالية أن يسجل ويخزن اتزان طاقة المكان الناتجة عن استخدام الأشكال الهندسية والألوان (وغيرها) في اسطوانة مدمجة على هيئة ملفات خاصة تؤدي عند تشغيلها في مكان آخر إلى إعادة توازن الطاقة فيه الذي اختل بسبب الموجات الكهرومغناطيسية الضارة الناتجة من مصادر متعددة أهمها جهاز الكمبيوتر والأجهزة الكهربائية الأخرى الموجودة في منازلنا (وما أكثرها) . مما يؤدي في النهاية إلى إلغاء التأثير الضار لتلك الموجات وتنشيط الجهاز المناعي .

إن أبحاث علم البايوجيومتري تعتمد كلياً على أجهزة القياس العلمية الدقيقة والكمبيوتر (وليس على النظريات والاحتمالات) حيث يتم قياس التأثير الايجابي الفوري بتلك الأجهزة مما لا يدع مجالا للشك والريبة .

فعلم البايوجيومتري هو العلم الذي يدخل العامل الإنساني في التكنولوجيا الحديثة والتي تسببت في بناء حضارة توفير أساليب الراحة للإنسان ولكن على حساب صحة الإنسان سواء على المستوى المادي أو النفسي أو الفكري أو الروحي. فبواسطة علم البايوجيومتري نتغلب على الآثار الضارة لتكنولوجيا عصر المعلومات مع الإبقاء على هذه العلوم التكنولوجية بل وتطويرها، ونبدّل هذه الحضارة بحضارة لحساب الإنسان ورقيه أيضا على جميع المستويات من المادي إلى الروحي.

يبحث علم البايوجيومتري في كيفية إدخال الطاقة المنظمة في المجالات المختلفة لطاقة الكائنات الحية باعتبارها أساس الاتزان في الكون والقادرة على توفير الحماية ضد كل الأضرار. هو علم يدرس العلاقة بين عناصر ثلاثة: الشكل ، الطاقة ، الوظيفة .

ويتخصص علم البايوجيومتري في إدخال التوازن التام بين هذه العناصر .فمن خلال الشكل يمكن التأثير على الطاقة ومن ثم الوظيفة. من خلال الشكل يمكن إدخال

الطاقة المنظمة في جميع أنواع الطاقات و من ثم إعادة الاتزان للوظيفة. ويستخدم كل من قانون الرنين والموجات الذبذبية الحاملة المسماة بالأخضر السلبي للقيام بهذه المهمة.

لأداء وظيفة الطبخ نستخدم شكل الإناء لتشكيل الطاقة بما يتناسب مع الوظيفة التي نطلبها منها. فلكي نجعل الطاقة الحرارية تؤدي وظيفة الشواء مثلا يكون الإناء على شكل مسطح لتوزيع الطاقة فلا يحترق الطعام. أما السلق فيحتاج إلى تركيز الطاقة في مكان معين بشكل معين وبالتالي يستخدم إناء عميق...وهكذا. إذن من خلال الشكل يمكن تغيير الوظيفة. و هذه هي لغة الطبيعة من حولنا فكل شيء مخلوق له شكل معين لأداء وظيفة معينة وأية خلل في الشكل ينتج عنه بالتأكيد خلل في أداء الوظيفة.

علم البايوجيومتري يبحث ليتوصل للأشكال المثالية لمسارات مختلف الطاقات الموجودة في الكون وبالتالي لإمكانية إعادة مسارات الطاقات المختلة (التي تظهر في شكل أمراض وخلافها من مظاهر اختلال في التوازن) إلى المسارات المثالية والتي تعيد بدورها الصحة و التوازن في الوظيفة.

إن علم البايوجيومتري له جذوره في فيزياء طاقة الترددات الصغرى كما جاءت في علم الراديستيزيا والهارمونيكس والجيوبايولوجي، وفي الهندسة المعمارية وليس في الطب. ولكن باعتباره علم شمولي فهو يدخل في كل مجالات لحياة. يمكن تشبيهه بالحجر الذي به يتم استكمال البناء الهرمي لعلوم العصر، وما كان يمكن التوصل إلى هذا العلم بدون علوم العصر التي أسهمت في التوصل إليه و ظهوره.

فالعلم لا ينبت من فراغ. ومن العلوم الحديثة التي كان لها أثر كبير في ظهور البايوجيومتري، علم الجيوبايولوجي، وعلم الباوبايولوجي.

يستخدم علم البايوجيومتري أدوات كثيرة لتحقيق هدفه (وهو إدخال التوازن في مجالات الطاقة الحيوية ذات الترددات الصغرى والمرتبطة وظيفيا بالجسم المادي) الذي يتيح لجهاز المناعة أو للطبيب الإلهي داخل الجسم الفرصة ليعمل بأكثر كفاءة و يوفر الحماية ضد الآثار الضارة للتلوث البيئي سواء المرئي أو الغير مرئي كالمجالات الكهرومغناطيسية والإشعاعات الأرضية السرطانية. فبالإضافة إلى الأشكال الهندسية يستخدم طاقة اللون و الصوت و الحركة و العلاقات الذبذبية المختلفة بينها و التي تترجم أيضا إلى زوايا ونسب وعلاقات هندسية .

د. سيد كريم ، ونجله د.إبراهيم كريم ، وأحمد زويل ، وفاروق الباز.. نماذج من العلماء المسلمين الذين لم يَحُل تمسكهم بتعاليم الإسلام من الاستفادة بعلوم الغرب وتكنولوجيته ، فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها .

***

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣- الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية . دار الكتاب العربي

٤- المدارس السلفية، جدليَّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة

٥- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمَّ . دار زهور المعرفة والبركة

٦- عبقرية محمد للعقاد ، مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية وذكر مفتاح شخصية خير البرية . دار زهور المعرفة والبركة

٧- ضبط وتخريج الأحاديث النبوية لكتاب " على هامش السيرة لطه حسين " مع مناقشة أفكار الكاتب واتجاهاته الدينية . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو دار زهور المعرفة والبركة

٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " " " " " " " "

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي .

دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) . "" "" ""

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن . "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة . "" "" ""

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية . "" "" "" ""

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ .

زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . زهور المعرفة والبركة

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟ "" "" "" ""

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة) " " " " " "

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) " " " " " "

٥- شهادات رموز ومعالم مصرية حديثة على بطولات مصرية مجيدة .

(قصص مصورة للنشء والشباب) زهور المعرفة والبركة

كتب أطفال

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " "

التليفون المحمول : ٠١٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت : albab.hooxs.com

***